كلمات لا تنقصها الصراحة

طال الوقت أو قصر لابد أن يتحقق السلام

إسرائيل تراوغ ومصر تصر على اتخاذ حل للمشكلة الفلسطينية.

بقلم صبري أبو المجد

أصبح جلياً وواضحاً، أكثر من أي يوم مضى، أن إسرائيل لم تستفد كما ينبغـي مـن دروس حرب أكتوبر 1973م. وعدم استفادتها من تلك الدروس هو الذي أدى بها إلى الاستمرار فـي حملات المراوغة والتعطيل، وأدى بنا إلى بذل كل هذا العناء الكبير الذي بذلناه، ونبذله مـن أجل تحقيق السلام. ففي أعقاب حرب أكتوبر، ومنذ أن رفع الرئيس السادات بدايـة الـدعوة للسلام، وإسرائيل تبذل كل جهودها وإمكاناتها، من أجل ألا يتحقق هـذا السـلام. فالقيـادات الإسرائيلية التي هزمت هزيمة منكرة في حرب أكتوبر- رمضان العظيم- لا تـزال تعـيش بعقلية ما قبل أكتوبر... العرب هـم العـرب، الـذين انهزمـوا فـي 1948وفـي 1967. والإسرائيليون هم الإسرائيليون الذين انتصروا في 1948وفي 1967. القيادات الإسـرائيلية لا تزال تعتقد بأن الزمن في صالحها، وأن الضربة التي لحقت بها في أكتوبر 1973 يمكـن أن تنسى من قبل العرب، ومن قبل الإسرائيليين تجمعوا أو تكتلوا، وتوحدت- لأول مرة وبصورة نادرة المثال- كلمتهم وأرادتهم في حرب أكتوبر 1973.. هؤلاء لابد-بمـرور الـزمن- أن يختلفوا ويتفرقوا وتتمزق صفوفهم، ويلجأ البعض إلى محاربة البعض الأخر.. بحيـث تتـاح الفرصة لإسرائيل كي تستفيد إلى أبعد حدود الاستفادة من هذا التمزق العربي. ومنذ أكتـوبر 1973 وإسرائيل- وهي بلا شك بارعة في ذلك إلى أبعد حدود البراعة- تلجأ إلـى التمسـك بالإجراءات الشكلية التي تريد من وراء التمسك بها أن تبتعد إلى أبعد حـدود الابتعـاد عـن مناقشة جوهر المشكلة. فهي مثلاً، لا تريد أن تلتقي بممثلي منظمة التحرير الفلسطينية. وهـي مثلاً لا تريد أن تبحث على الإطلاق موضوع أقامة الدولة الفلسطينية ... لا بصورة مباشرة، ولا بصورة غير مباشرة. وقد استطاعت إسرائيل أن تضيع أكثر من ثلاثة أعوام مـن وقـت العرب في مناقشة إجراءات شكلية لا تقدم ولا تؤخر. وكانت أسرائيل طوال تلك الفترة .

كلمات لا تنقصها الصراحة:

أقولها بصراحة: النوايا المخلصة الطيبة ليست متوافرة عند الإسرائيليين!

لو أن إسرائيل كانت جادة في تحقيق السلام لما أحتجنا إلى بذل كل هذا العناء

القضية بإيجاز شديد: هل تريدون سلاماً حقيقياً أم هدنة مسلحة؟.. نحن نريد السلام الحقيقي!

تعتمد في كل دعاياتها من أجل كسب أي العام العالمي، على أن هناك حاجز من عـدم الثقـة يحول بينها وبين لقاء العرب، ليس بقادر أبداً على أن يحطم هذا الحاجز، وأن العرب – كـل العرب- لا يزالون يعتقدون أن ما بينهم وبين إسرائيل قضية وجود، لا قضية حدود، وأهم لا يزالون يفكرون حتى الآن في الإلقاء بإسرائيل إلى البحر، والقضاء عليها قضاء مبرماً!!

للحقيقة والتاريخ كانت إسرائيل تستفيد من ذلك كله في كسب الرأي العالمي، في الوقت الـذي كان العرب يخسرون إلى حد كبير، جانباً هاماً من هذا الرأي العام .

وعندما قام الرئيس أنور السادات بمبادرته العظيمة الشجاعة في 19نوفمبر 1977على النحـو الذي هز ضمائر ملايين الملايين من البشر، وقضى تماماً على حاجز عدم الثقة، وقام بما لـم يكن يحلم به أحد من الإسرائيليين.. حيث يذهب أكبر وأقوى رئيس دولة عربية إلى العدو في عقر داره ماذا يده بصدق وإيمان وأخلاص.

داعياً إلى السلام من موقف القوة، لا من موقف الضعف.

في خطاب الرئيس أنور السادات بالكنيست الإسرائيلي، حدد تماماً بكل ما يملك مـن صـدق وأخلاص الخط المصري العربي، لا تسوية منفردة. لا تنازل عن شبر واحد مـن الأراضـي العربية المحتلة أثر عدوان 1967. لابد من تقرير الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، بمـا في ذلك حقه في تقرير مصيره، وحقه في أقامة دولته على أرضه. ورغم ذلك الوضوح، الذي ما بعده من وضوح.. فإن إسرائيل ظلت عاماً كاملاً تماطل وتسوف وتراوغ، وتحاول بكل ما تستطيع من جهد أن تجر مصر إلى تسوية منفردة.. أو أن تقدم سيناء لمصر كثمن لتخليها عن التمسك ببقية أهدافها العربية الأخرى.

في كل اجتماع تم في القدس، وفي القاهرة، وفي الإسماعيلية، وفي قلعة ليذر، وفـي كامـب ديفيد... وفي بلير هاوس، كانت مصر ولا تزال تصر على أنـه لا تسـوية منفـردة علـى الإطلاق، وأنه لا تتنازل عن شبر واحد من الأرض العربية المحتلة، وأنه لابد مـن تقريـر الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وضرورة وضـع جـدول زمنـي محـدد لحصـول الفلسطينيين على الحكم الذاتي، تمهيداً لحصولهم على حقهم في تقرير مصيرهم، وفي أقامـة دولتهم على أرضهم.

وفي الوقت الذي كانت فيه، ولا تزال، رغبة مصر في تحقيق السلام رغبة حقيقة أصيلة نابعة عن إيمانها بأن قضية السلام ليست قضية مصر وحدها، وليست قضية العرب وحدهم، وأنمـا هي قضية العالم كله.. وبالرغم من أن مصر ضحت في سبيل سعيها من أجل تحقيق السـلام بما لم تضح به من قبل أية دولة أخرى على الإطلاق، إذا تعرضت لأشـرس حملـة عرفهـا التاريخ العربي على الإطلاق من بعض أشقائها العرب.. سواء منهم من في جبهة ما يسـمى بالصمود والتصدي... أو من غيرها من أنظمة الحكم الأخرى.. في هذا الوقت الذي وقفت فيه مصر بقيادتها السياسية الحكيمة أشجع موقف يمكن أن تقفه أية دولـة مـن الـدول، مبديـة استعدادها لكل ما يحاول البعض أن يفرضه عليها من عقوبات ومقاطعات.. و.. ألخ كل تلـك التهديدات.. في هذا الوقت تأبى القيادات الإسرائيلية ألا الاستمرار فـي صـلفها وغرورهـا، والتمسك بكل مطامعها الاستعمارية والاستيطانية التي تعتقد أيضاً معنا القيـادات الإسـرائيلية كذلك.. أنها قد دفنت في رمال سيناء في النصف الأول من أكتوبر 1973. وقد كنت كمواطن مصري عربي، منذ أن أعلن الرئيس السادات عن مبادرته العظيمة الشجاعة، سيئ النية إلـى أبعد الحدود فيما يتعلق بنوايا القيادات الإسرائيلية لا تزال سيئة النية إلى أبعد الحدود. وأنهـا بحق وبصدق غير راغبة في تحقيق السلام، بل أنها تخشى إلى أبعد الحدود أيضاً من السـلام وحتى في اللقاء السريع الذي لقيت فيه بعض الصحفيين الإسرائيليين في الإسـماعيلية، وفـي ذلك اللقاء الذي تم بيني وبين يوري أفنيري في دار الهلال كنت أؤكـد باسـتمرار علـى أن مشكلة تحقيق السلام لم تعد أبداً على الإطلاق مشكلة مصرية أو عربية .. وأنمـا أصـبحت مشكلة إسرائيلية. وأن كل العقبات التي تعترض طريق السلام، لابد وأن تأتي من قبل القيادات الأسرائليية وحدها. لقد أدينا واجبنا حقاً فيما يتعلق بقضية السلام . أظهرنا وإلى أبعد الحـدود النوايا الطيبة المخلصة من أجل تحقيق السلام. بذلنا كل ما نستطيع مـن جهـود وإمكانـات، وفقدنا الكثير من الأصدقاء من أجل أن يتحقق السلام، في الوقـت الـذي يبـدو فيـه القـادة الإسرائيليون أنهم لم يتغيروا ولم يتبدلوا. لا بعد حرب أكتوبر 1973، ولا بعد مبادرة السادات للسلام في نوفمبر 1977. وأقول مخلصاً أنه لولا تلك الضغوط التي باشـرها علـى القـادة الإسرائيليون وبعنف الرئيس الامريكي كارتر، لما قبل الجانب الإسرائيلى ما قبله في اتفاقيتى كامب ديفيد.

لقد أرغم القادة الإسرائيليون حقاً على أن يعترفوا بما لم يكونوا يعترفون به من قبـل بـبعض حقوق الشعب الفلسطيني. فالأول مرة في تاريخ إسرائيل يعترف القادة الإسرائيليون بالحـدود الدولية لإسرائيل، إذا ظلوا ومنذ عام 1948حتى التوقيع على اتفاقيتى كامب ديفيد يرفضـون

ويصرون على بقاء حدود دولتهم غير محددة، ليسهل عليهم الاستيلاء على بعض الأراضـي العربية بين فترة وأخرى.

وإذا كانت إسرائيل، حتى بعد توقيعها على اتفاقيتي كامب ديفيد، تثير هذه المشاكل وتثير هذه المخاوف، وتعلن عن خلافها واختلافها مع مصر في تفسير اتفاقيتي كامب ديفيد... إذا كانـت إسرائيل تلجأ إلى ذلك كله في الوقت الذي لم تتخذ فيه خطوة واحدة لتنفيذ بنود الاتفاقيتين ؟!

وإذا كانت إسرائيل تعرض قضي السلام للخطر لأنها لا تريد أن تربط بـين اتفاقيـة السـلام الخاصة بسيناء وبقية المشاكل العربية الأخرى في الضفة الغربية بما فيها القـدس، وغـزة، والجولان. وإذا كانت إسرائيل تخشى منذ الآن تحديد جدول زمنـي لإقامـة الحكـم الـذاتي الفلسطيني .. فما الذي يمكن أن تفعله إسرائيل بعد توقيع اتفاقية السلام!!!؟

أنني أقولها بصراحة، كمواطن مصري عربي، أن النوايا المخلصة الطيبة، ليست متوفرة أبداً عند القادة الإسرائيليين . وأننا كمصريين معذورون إذا كنا نتخوف من نتائج النوايا السيئة عند هؤلاء القادة.

أننا لا نريد أبداً هدنة مسلحة، يستغلها كل طرف من الأطراف لتقوية نفسه، وتكون بعدها حروب طاحنة ضروس. نحن نريد حقيقة السلام

www.anwarsadat.org